الموسر والمعسر وجسور التواصل

كتبه/
المصطفى السالك بن الطالب الشنقيطي

الردمك

ميلاد الفكرة

بسم الله الرحمن الرحيم

وبعد .

فإن لكل فكرة بداية، والبداية لهذه الفكرة، لها ظرفها الزماني والمكاني، وواقعها النفسي والشعوري.

أذكر أنني صليت العشاء-كعادتي- في المسجد الذي أجلس فيه كل مساء[1]، وقرأ الامام في تلك الصلاة سورة الحاقة ولما وصل قوله تعالى ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾ ﴾[2] فإذا الوقع القرآني يهز كياني ويحرك أركاني وقع أصاب مني مكان الإحساس ولامس فيَّ موقع الشعور، والعجيب أنني أجلس –كما أسلفت– في نفس المسجد مساء كلِ يوم أُدرس القرآن الكريم لنخبة من خيرة الشباب مما يساعد على تدبر القرآن والتفاعل معه في كل مناسبة ولا شك أنني قرأت واستمعت كغيري لسورة الحاقة وغيرها عشرات بل مئات المرات قبل تلك الليلة، ولكنه القرآن المعجز الذي انتهى نزوله ولم ينته تنزله وتأثيره،

(١) إحدى ليالي شعبان سنة ١٤٢٧هـ في مدينة الخبر – المملكة العربية السعودية.

(٢) الحاقة من ٣٠-٣٧.

كما يقول ابن متالي الشنقيطي رحمه الله. تأثرت كثيرا وأبهرتني عظمة هذا الدين، تعجبت من كون القرآن الكريم حدد البند الذي عذب الله بسببه هذا النوع من البشر وحصره في مادتين:

الأولى (إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ ٱلۡعَظِيمِ) الثانية (وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ) ودهشت أثناء الصلاة من مضمون هذا النص القرآني (وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ) ولم يقل (ولا يطعم).!! من هنا عرفت قيمة التكافل الاجتماعي وخطورة إهماله..! (إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ ٱلۡعَظِيمِ)قد يكون كافيا لسلوكه جهنم إذ لا ذنب أعظم من الكفر، ولكن الكلام يظل متصلا والسياق يبقى متواصلا لتكتمل الصورة (وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ) حتى تعرف البشرية عظمة هذا الدين وإنسانيته. والعجيب أنه لما كان هذا النموذج قد استوجب سلوك جهنم بسبب هاتين الجريمتين جعل القرآن الكريم لكل جريمة منهما عقابا إضافيا مناسبا لشكل الجريمة وأبعادها النفسية والشعورية. نعود إلى المادة الأولى، (إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ ٱلۡعَظِيمِ) إنك لتعجب من هذا الربط الوثيق الذي يؤصل لقاعدة (الجزاء من جنس العمل)، فلما كفر هذا النموذج بالله العظيم –جل جلاله– جاء العقاب مناسبا لجريمة عدم الإيمان بالله العظيم (فَلَيۡسَ لَهُ ٱلۡيَوۡمَ هَٰهُنَا حَمِيمٞ ٣٥) وهذا مناسب لجريمة رفضه الإيمان بالله العظيم، فكأنه يقال له: لقد آمنت ببديل آخر في الدنيا فابحث عنه اليوم كي ينقذك أو يشفع لك على الأقل ولكن الواقع (فَلَيۡسَ لَهُ ٱلۡيَوۡمَ هَٰهُنَا حَمِيمٞ).

وإذا عدنا إلى المادة الثانية ﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ فإننا نجد العقاب مناسبا لجريمة عدم حضه على طعام المسكين، أي لما رفض الحض على إطعام المساكين، وهو بطبيعة الحال أقل تكلفة من الإطعام المباشر كان الجزاء، ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾ بمعنى أنه لا حق له في طعام في هذا الوقت- إذ قد رفض في الدنيا مجرد حض غيره على طعام المسكين، لاحق له في الأطعمة إلا نوعا خاصا منها ﴿إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾ فكأن الغسلين وجبة خاصة به وبأمثاله من الخاطئين.

إنها خاطرة أشعلت في نفسي جذوة عظمة هذا الدين وسموه الإنساني، وتأملت كيف تفاعل الصحابة ﷺ مع هذا الوحي فهذا أبو الدرداء ﷺ كان يحض امرأته على تكثير المرق لأجل المساكين، وكان يقول: خلعنا نصف السلسلة بالإيمان، أفلا نخلع نصفها الآخر[1]؟) ولفت نظري كذلك ما توصل إليه الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور -رحمه الله- في تفسيره حيث قال (إن الإنسان الذي لا يحض على إطعام المسكين فإنه أشد بخلا من صاحب المال لأن الغني عند ما لا ينفق فإنما يبخل بماله أما الذي لا يحض غيره فإنه يبخل بمال غيره!![2] كما أنني تأملت مدى السرور الذي يحدثه فعل البر وصنائع

(١) الكشاف (٦٠٩/٤) .

(٢) التحرير والتنوير (٢٩ / ١٢٨) .

المعروف وأثر السعادة التي يحدثها عمل الخير في أنفس المحاويج ولك أن تتصور حالة المسكين النفسية التي يحاول أن يواريها بسياج الصبر ويسترها برداء القناعة وهو في نفس الوقت لا يجد ما يسد حاجته الضرورية أو حاجة أطفاله ويرى جاره يتفنن في اقتناء الكماليات ويرى خدمه يحملون فائض الأطعمة إلى أماكن النفايات.

من هذا المنطلق تأتي أهمية الحديث عن ضرورة وجود جسور وتوفر آليات تسهل التواصل بين الموسر والمعسر حتى ينعم الموسر بالأجر العظيم وينعم المعسر بالعيش الكريم.

إن وجود جسور بين الطرفين يحقق كثيرا من الأهداف النبيلة والمنافع الجليلة، إذ يساهم في سيادة السلم الاجتماعي، إن الرحمة بضعفة المسلمين وإدخال السرور عليهم يعود بالأجر العميم على كلٍ من فاعل الخير والدال عليه، وهذا ما شجعني على الكتابة عن هذا الموضوع، كما أنه يساعد في نزع فتيل الآثار السلبية التي يسببها الحرمان والإهمال من طرف المجتمع وأصحاب الأموال، إنه موضوع شغل تفكيري ردحا من الزمن أغوص في أعماقه فكريا وشعوريا ويعجز القلم في كثير من الأحيان عن الترجمة الحقيقية لما في النفس، لكنني –رغم ذلك– صممت على إبراز ما في النفس وإن لم تأت الترجمة بجميع الأبعاد النفسية والشعورية.

كما أنني أثناء تفكيري في المنفقين ودورهم الكبير استوقفتني هذه الآية ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾﴾[1] فأنت تلاحظ معي أن الإنفاق تكرر في هذا المقطع القليل ثلاث مرات كما أن الآية تقدم للمنفق محفزات عملية تجعله يجتهد في عملية الإنفاق كماً وكَيفاً ثم إن عبارة (من خير)لها دلالتها الشمولية إذ لم يقل القرآن الكريم مثلا من مال أو دراهم إلخ..، وإنما انتقى عبارة(من خير) حتى يفتح المجال للمنفق ليتفنن في ألوان البر وأعمال الخير حسب حاجة المسكين فإن كان جائعا أطعمه وإن كان عريانا وفر له الكسوة وإن كان مريضا وفر له العلاج إلخ..كما أن كلمة (فلأنفسكم) لها بعدها العميق إذ يوحي فحوى الكلمة بنوع من الإحالة بمعنى أن الغني أو الموسر إذا قرر أن يقدم صدقة لمسكين أو معونة لمحتاج ، فعليه أن يختار بنفسه ما سيقدمه لنفسه!! والإنسان أدرى بنفسه ولا أظن أن عاقلا يقصر في الاختيار!! وفي هذا حماية ضمنيه للمسكين من المن أو الأذى من طرف المنفق بمعنى أن المتصدق يخدم نفسه بذاته والمسكين مجرد قناة يحقق المنفق من خلالها هدفه كما أن القرآن الكريم يغري الغني ويشجعه بأنَّ ما يقدمه لنفسه من الإنفاق سيأخذه كاملا وكأن المنفق يحصل على معلومة سرية وصلت إليه قبل

(١) البقرة ٢٧٢.

أوانها (وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ) فكأن القرآن الكريم يحذر المنفق من الإسراف والتبذير لأن المنفق أولى بماله من جهات أخرى أجنبية فينبغي أن يحتاط لصادرات ماله ويحذر من التَفريط لأنه إذا لم يخلص النية لله تعالى فإنه قد فرط في رصيده ولكن التحذير يأتي بأسلوب النفي بمعنى أن الوضع الطبيعي للمنفق أنه لا ينفق إلا ابتغاء وجه الله (وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ ٱللَّهِ).

إن مقامات المنفقين لا تتوقف عند هذه الصورة التي رسمتها الآية الكريمة لأن هذه الصورة تمثل الحد الأدنى فقط وهي مناسبة لفئة مولعة بقانون المعاوضة المثلية والمقايضة البينية، (فَلِأَنفُسِكُمۡ)، (يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ) (وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ)!! أما الفئة التي تعودت على الأرباح الموثقة بالأرقام وتؤمن بالنشاط التجاري الدؤوب وتعودت على التصاعد الرقمي فلها ما يحقق تلك الرغبة ويلبي ذلك الطموح، وما أظن أن أحدا من هذه الفئة يصل طموحه الربحي أن يحصل على سبعمائة ضعف في الصفقة الواحدة من رأس المال!! ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ﴾.

وأما الفئة التي تؤمن بالثراء بلا حدود وليست حريصة على محدودية الأرقام فهذه لها ما يناسبها (وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ)!!، ولا شك أن تضاعف هذه

الأرقام يتعلق بإخلاص النية، ونوعية الصدقة وحال المستهدَف مصداقاً لقوله ﷺ: **(سَبَقَ دِرْهَمٌ مَائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ)**[1] .

إن خطَورة إهمَال المسَكيَن وتَجاهل المحتاج من جهة، ومقامات المنفق في سلم الكرامة ومراقي الإيمان من جهة أخرى، من بين العوامل التي جعلتني أواصل تسجيل الخواطر والتأملات حول موضوعهما بالإضافة إلى الحديث عن الجسور التي تربط بينهما حتى يعيش المسكين في كرامة وإن كنت أعلم أن كل منصف يقر بأن رحمة هذا الدين وتميزه في التكافل الاجتماعي تجاوز عالم الإنسان إلى عالم الحيوان، حيث أخبر نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم بأن امرأة دخلت النار بسبب حبسها لهرة إذ يقول كما في الصحيحين (دخلت امرأة النار في هرة حبستها لاهي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض) البخاري ٣١٤٠وبأن بغيا دخلت الجنة لأنها سقت كلبا.

بعد ميلاد الفكرة كما أسلفت بدأت الخواطر تتوارد حول عناصرها الثلاثة: (الموسر) ودره المتميز في التنمية، و(المعسر) كطرف مستهدف، وجسور للتواصل بينهما تساعد على تحقيق الأهداف المنشودة كما أسلفت: إن رسالة (الموسر والمعسر وجسور التواصل) هي خواطر ومقترحات في التكافل الاجتماعي معززة ببعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ومطعمة ببعض

: سنن النسائي الكبرى برقم (٢٣١٨) ١.

الأبيات الشعرية الهادفة، أقدمها للقراء الكرام والأفراد المحسنين، والجمعيات الإغاثية، علها تكون لبنة تسد ثغرة في بناء الصرح الاجتماعي الإغاثي المنشود أقدمها للقراء الكرام في الوقفات التالية:

الوقفة الأولى: بعنوان (العبادة المهجورة).

والثانية: (كرامة المسكين وحسنات المنفق).

والثالثة: (وللإمام دوره)

والرابعة: (من المستفيد؟)

والخامسة: (هل تبحث عن ضمانات؟)

الوقفة الأولى: العبادة المهجورة

أيها الأحبة الكرام، إن البشر يتفاوتون في اليسر والعسر، ويتباينون في الغنى والفقر، ولاشك أن تفاوتهم سنة كونية، و تباينهم حقيقة قدرية مصداقا لقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلرِّزۡقِ ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗاۗ وَرَحۡمَتُ رَبِّكَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ٣٢ ﴾[2] وكلنا يعلم أن المجتمع بشكل عام ينقسم إلى أغنياء وفقراء وفئة وسطى بين الصنفين، والمطلوب من الأغنياء هو الإنفاق في سبيل الله والشكر له على ما أنعم به عليهم لينالوا الأجر في أخراهم، وزيادة الرزق في دنياهم في تحقيق وعده قال تعالى: ﴿ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡ ﴾[3] فالإنفاق علاج مهم لأمراض خطيرة كالشح والبخل وقد حكم الله سبحانه وتعالى بالفلاح لمن وقاه شح نفسه بعد أن تحدث عن نخبة من البشر سخرهم الله جل جلاله لنصرة نبيه وإعزاز دينه في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ

---

١ – النحل: ٧١

٢ – الزخرف: ٣٢

٣ – ابراهيم: ٧

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٩﴾[١] وقد كان الرسول ﷺ يستعيذ من البخل لأنه خصلة ذميمة، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال كان النبي ﷺ يقول: **"اللَّهُمَّ إِنِّي أَعوذُ بِكَ مِن الْهَمِّ والْحزن، والْعجزِ والْكَسلِ، والْجُبْنِ والْبُخْلِ، وضلع الدين وغلبة الرجال"**[٢]. وقد لخص الشاعر بعض سلبياته حيث يقول:

وآمرة بالبخل قلت لها اقصري ... فليس إلى ما تأمرين سبيل
أرى الناس خلان الجواد ولا أرى ... بخيلاً له في العالمين خليل
وإني رأيت البخل يزري بأهله ... فأكرمت نفسي أن يقال بخيل[٣]

فالبخل إذاً خلق مذموم تنفر منه الطباع السليمة كما يقول الشاعر:

مالي عليَّ حرام إن بخلت به ... وصاحب البخل عند الناس مذموم
لا بل أجود بمالي لا أضن به ... فالمال بعدي إذا ما متُّ مقسوم[٤]

والمطلوب من الفقراء والمحتاجين التعفف والصبر على ما ابتلاهم الله به، والبحث عن كسب حلال يحفظ لهم كرامتهم، وينبغي للمسكين أن يعتبر القناعة كنزا لا ينفد، وعزا لا ينقضي كما قال الشاعر:

١ – الحشر: ٩
٢ – رواه البخاري ٥٨٩٢
٣ – جواهر الأدب ٤٨
٤ – جواهر الأدب ٤٨٢

أفادتني القناعة كل عز وهل عز أعز من القناعة[1]

ثم إن القناعة لها ضريبتها الحتمية، إذ لا بدّ لها من صبر وجلَد، وكذلك نكبات الدهر تحتاج إلى صبر جميل، ونفس طويل كما قال الشاعر:

إذا ما أتاك الدهر يوما بنكبة فأفرغ له صبراً وأوسع له صدراً

فإن تصاريف الزمان عجيبة فيوما ترى يسراً ويوما ترى عسراً [2]

أخي الحبيب: هذا ما يتعلق بالموسرين والمعسرين..

ولكن ما هو دور الفئة الوسطى، والطائفة الكبرى من المجتمع التي لا تملك ما تضمد به جراح المصابين، أو تقطع به أنين المحتاجين، وهي في نفس الوقت عندها ما يسد حاجتها ويحفظ كرامتها؟

إن هذه الفئة لا يقبل منها موقف الحياد السلبي، بل لا بد أن تسعى لتكون نقطة وصل بين الطرفين وذلك للأسباب التالية:

أولا: أن الفقراء والمحتاجين الذين تملكتهم القناعة عما في أيدي الناس يحتاجون لمن يسعى في تلبية حاجتهم، و إزالة كربتهم.

ثانياً: أن هذه النماذج وهذا حالها لا يمكن أن تعلن عن حاجتها أو تبوح بوضعيتها بل لسان حالها يقول:

إذا المرء عوفي في جسمه وملّكه الله قلباً قنوعاً

---

١ – جواهر الأدب ٤٨٢

٢ – جواهر الأدب ٤٧٧

وألقـــى المطـــامع عـــن نفســـه فـذاك الغـني ولـو مـات جوعـا[1]

ثالثاً: لتسلم هذه الفئة من الوعيد الشديد الذي ينتظر من لا يحض على طعام المسكين، ونحن كلنا نعلم أن القرآن الكريم مليء بالحث على الإنفاق على الفقراء والمحتاجين، ولكني سأقتصر في (الوقفة الأولى) على بعض الآيات التي تتعلق بالحض باعتباره وظيفة اجتماعية تعرض المفرط فيها للوعيد الشديد، وسأذكر أربع نماذج تتعلق بهذا الموضوع، معلقا عليها من تفسير السعدي رحمه الله لاختصاره ووضوحه.

النموذج الأول: يبين أن هناك طائفة دخلت النار، لارتكابها عدة جرائم أخطرها التكذيب بيوم الدين، ومنها ترك الصلاة، ومنها عدم إطعام المساكين...الخ قال تعالى في سورة المدثر: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾﴾[2]

والنموذج الثاني يبين أن إنسانا-وهو رمز لنوع من البشر- دخل جهنم وعذب فيها عذابا أليما بسبب جريمتين عظيمتين الأولى: عدم إيمانه بالله

---

١ - جواهر الأدب ٤٨٦

٢ - المدثر: ٤٢ - ٤٩

العظيم، والثانية: عدم حضه على طعام المسكين، قال تعالى في سورة الحاقة: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾﴾[1]

والنموذج الثالث يبين أن المكذب بيوم الدين، هو الذي يدعُّ اليتيم أي يدفعه بشدة، ولا يحض في نفس الوقت على طعام المسكين، قال تعالى في سورة الماعون: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣﴾﴾[2]

النموذج الرابع يبين أن القرآن الكريم أنَّب أُناساً تأنيبا لاذعا على عدم إكرام اليتيم، وعدم الحض على طعام المسكين، قال تعالى في سورة الفجر: ﴿كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾﴾[3] يقول الشيخ السعدي –رحمه الله– معلقا على آية المدثر السابقة: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾﴾[4] "أي: أَيُّ شيء

---

١ – الحاقة: ٣٠ – ٣٧

٢ – الماعون: ١ – ٣

٣ – الفجر: ١٧ – ١٨

٤ – المدثر: ٤٢ – ٤٤

أدخلكم فيها وبأي ذنب استحققتموها: ﴿ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾[1] فلا إخلاص للمعبود، ولا نفع للخلق المحتاجين انتهى

أخي الكريم: أنت تلاحظ أن آية المدثر لم تذكر الحض، وإنما اقتصرت على عدم إطعامهم للمساكين بينما آية الحاقة اقتصرت على مجرد عدم الحض مع الجريمة الكبرى والخيانة العظمى وهي عدم الإيمان بالله، يقول السعدي رحمه الله معلقاً على قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ ﴾[2]" أي: ليس في قلبه رحمة يرحم بها الفقراء والمساكين، فلا يطعمهم، ولا يحض غيره على إطعامهم لعدم الوازع في قلبه. انتهى"

أما آية سورة الماعون، فإنها بينت أن الذي يكذب بيوم الدين، وهي الجريمة العظمى هو الذي يدَعُّ اليتيم أي يدفعه بشدة وعنف إذاية وتنكيلاً ولا يحض أيضاً على طعام المسكين يقول الشيخ السعدي معلقاً على قوله تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣﴾ ﴾[3] يقول تعالى ذاماً لمن ترك حقوقه وحقوق عباده: أرأيت الذي يكذب بالدين، أي: بالبعث والجزاء فلا يؤمن بما جاءت به الرسل فذلك الذي يدع اليتيم أي يدفعه بعنف وشدة ولا يرحمه لقساوة قلبه، لأنه لا

١ – المدثر: ٤٣ – ٤٤

٢ – الحاقة: ٣٤

٣ – الماعون: ١ – ٣

يرجو ثواباً، ولا يخشى عقاباً، ولا يحض غيره على طعام المسكين انتهى.

"وكذلك آية سورة الفجر فإنها أنّبت وعاتبت أناسا جمعوا بين عدم إكرام اليتيم، وبين عدم الحض على طعام المسكين، يقول الشيخ السعدي معلقاً على قوله تعالى: ﴿كَلَّا بَل لَّا تُكۡرِمُونَ ٱلۡيَتِيمَ ١٧ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ١٨﴾[١] فإن وقوف همة العبد عند مراد نفسه من ضعف الهمة، ولهذا لامهم الله على عدم اهتمامهم بأحوال الخلق المحتاجين، فقال تعالى: ﴿كَلَّا بَل لَّا تُكۡرِمُونَ ٱلۡيَتِيمَ ١٧﴾[٢] الذي فقد أباه، وكاسبه، واحتاج إلى جبر خاطره، والإحسان إليه فأنتم لا تكرمونه، بل تهينونه، وهذا يدل على عدم الرحمة في قلوبكم، وعدم الرغبة في الخير ﴿ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ١٨ ﴾[٣] أي لا يحض بعضكم بعضاً على إطعام المحاويج من المساكين والفقراء، وذلك لأجل الشح على الدنيا، ومحبتها الشديدة المتمكنة من القلوب اهـ.

ومن خلال ما سبق تتضح لنا خطورة عدم الحض على إطعام المساكين ويحتم في نفس الوقت السعي المستمر، والتضحية اللازمة لمحاولة بناء جسور، ورسم آليات، تربط بين الموسر والمعسر، فقد رأينا في سورة الحاقة أن مجرد عدم الحض على طعام المسكين جاء مقروناً بجريمة عدم الإيمان بالله العظيم، ورأينا في

١ – الفجر: ١٧ – ١٨

٢ – الفجر: ١٧

٣ – الفجر: ١٨

سورة الماعون أن دعَّ اليتيم أي دفعه المؤدي إلى إذلاله و إهانته وعدم الحض على طعام المسكين، هما صفتان يتصف بهما من يكذب بالدين. ورأينا في سورة الفجر التعنيف القوي واللوم الشديد المنصب على الذين لا يكرمون اليتيم، ولا يحضون على طعام المسكين، التعنيف الذي بدأ بحرف (بل) التي تدل على الإضراب ثم (لا) التي نفت إكرامهم لليتيم، ونفت حضهم على طعام المسكين من جهة أخرى، ثم إن استعمال تاء الخطاب له دلالته الخاصة (تكرمون) (تحاضون) وكلمة (تحاضون) قرأها عاصم، وحمزة، و الكسائي من السبعة بالمد[1]، وهو يدل على{المفاعلة} مثل قوله تعالى: ﴿ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ﴾[2] وقوله تعالى: ﴿ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾[3] فكأن الحض على طعام المسكين ظاهرة عامة وقضية مشتركة! كل طرف يحض الآخر عليها، وقرأ الأربعة (نافع المدني، وابن كثير، وابن عامر، وأبو عمرو البصري)، (تحضون) بدون مد وهي متفقة في المعنى مع آيتي الحاقة والماعون، ورأينا في سورة المدثر أن عدم إطعام المسكين، قُرن بجريمة التكذيب بيوم الدين، وجرائم أخرى سببت لهؤلاء سلوك سقر نسأل الله السلامة والعافية.

---

١ – النشر في القراءات العشر ٢/٤٠٠.

٢ – المائدة: ٧٩

٣ – العصر: ٣

أيها الأحبة الكرام: بناء على ما تقدم في هذه الوقفة، فينبغي أن نخاف جميعاً من وعيد عدم الحض على طعام المسكين، واللازم علينا بدل ذلك أن نبني جسورا، ونرسم آليات، من خلال حض الموسرين على الإنفاق على المعسرين حفظا لكرامة المسكين، وحرصا منا على حصول الأجر، ولنسلم من الوعيد، ويتحتم على الأغنياء والموسرين أن تتسع صدورهم لحض هؤلاء باعتبارهم مكلفين ومطالبين شرعاً بهذا الحض. وينبغي أن يتفاعلوا مع من حضهم تفاعلاً إيجابياً وبنَّاء، فالغني -مثلاً- في خضم تفاصيل الأحداث اليومية، قد يغفل، أو ينسى أن هنالك ثلاث احتمالات لابد أن يقع أحدها، إما أن يذهب هو إلى الدار الأخرى قبل المال، وإما أن يذهب المال قبله، وإما أن يذهبا معاً. وهو في الحالات الثلاث لن يجد إلا ما قدمه للدار الأخرى، والذي يقوم بمهمة الحض على الإنفاق فإنه يقدم خدمة مجانية جليلة لصاحب المال قبل فوات الأوان، ومن آليات التواصل بين الموسرين والمعسرين (الهيئات الإغاثية، والجمعيات الخيرية، والمؤسسات الخدمية الموجودة في الساحة، فهي تشكل بمجموعها جسوراً أساسية للتواصل). وقد وفق الله القائمين عليها لملء فراغ طالما تسلل منه المنصّرون، والمبشرون متخذين الفقر ذريعة، والحاجة مبرراً لنشر سمومهم؛ لكن هذه الجسور، وتلك الآليات، لا تكفي وحدها، بل لابد لها من طرق إضافية مكملة لنقترب من التكافل الاجتماعي المنشود حتى ترى البشرية صورة من صور الإسلام الناصعة الجميلة.

إن عملية الحض تحتاج إلى قناعة إيمانية وشجاعة مبدئية، وعندما يعلم المسلم الذي رضي بالله رباً وبالإسلام دينا، وبمحمد ﷺ نبياً ورسولا، أنه إذا لم يشارك في الحض على طعام المسكين؛ فإنه يكون قد عرض نفسه للوعيد الشديد، لا شك أنه في هذه الحالة سيروض نفسه ويعودها على ممارسة هذه العبادة المهجورة مشاركاً في عملية الحض؛ ليحصل على الأجر العظيم، أو ليسلم على الأقل من الوعيد الوخيم.

وبناء عليه فإننا ندعو جميع الأخيار الذين لم يرزقهم الله مالاً ينفقونه على الفقراء والمساكين، أن يشاركوا في مشروع الحض الصادق، والتوجيه السليم من أجل إيجاد آليات للتواصل بين الموسر والمعسر، وبناء جسور بين الغني والفقير. و قد تبين لنا من خلال النماذج القرآنية الأربعة السابقة أن مجرد الإطعام انفردت به سورة المدثر، وأن الحض انفردت به سورة الحاقة، واجتمع إكرام اليتيم الذي هو رمز للإطعام، والحض في سورتي الفجر والماعون، مما يجعل الحض مساوياً للإطعام في النماذج الأربعة التي ذكرناها.

الوقفة الثانية: كرامة المسكين وحسنات المنفق

أخي الحبيب:

إن الله سبحانه وتعالى قد خص الجنس البشري بالتكريم في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ﴾[1] وتجسيداً لهذا التكريم، فإن الإنسان ولو كان كافرا يبقى محتفظا بطهارته الحسية؛ كجزء من هذا التكريم، كما يقول كثير من العلماء هذا بشكل عام، فما ظنك بمن يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ﷺ ويعمل بمقتضاهما؛ إنه يحق له أن يعتز، ويفخر بأن هداه الله إلى هذا الإسلام العظيم، ويحمد الله كثيرا على ذلك. ثم إن الإسلام يريد أن يستفيد من هذا التكريم كل أبنائه؛ فلا يرغب في أن يحوز أحد أبنائه عزَّين في الدنيا في مقابل ذلّين للآخر. هذا هو الغالب، بل يريد نوعا من التوازنَ الذي يحكمه قانون العدل وميثاق الحكمة ودستور الإنصاف، ولتوضيح هذه الفكرة لنفترض أن ((زيدا)) من الناس قد رزقه الله المال الكثير وهو من الموسرين بينما ((عمرو)) من الناس قد ابتلاه الله بالفقر، واختبره بالحاجة وهو من المعسرين؛ لا شك أن ((زيدا)) له مكانة عالية، ومنزلة مرموقة عند كثير من الناس، بسبب هذا المال، ويعدّ هذا مكسبا اجتماعيا، وعزا دنيويا. وقد عبر الشاعر عن مكانة الغني عند الناس إذ يقول:

---

١ – الإسراء: ٧٠

إن الغـــني إذا تكلـــم بالخطـــا قـالوا صـدقت ومـا نطقـت محـالا
أمـــا الفقـــير إذا تكلـــم صـــادقا قـــالوا كـــذبت وأبطلـــوا مـــا قـــالا
إن الـــدراهم في المـــواطن كلهـــا تكســـو الرجـــال مهابـــة وجمـــالا
فهـي اللسـان لمـن أراد فصـاحة وهـي السـلاح لمـن أراد قتـالا[1]

بينما المعسر يفقد مكانته لمجرد فقره، وعدمه. ولو كان يمتلك عوامل العز ومقومات الشرف، وقد عبر الشاعر عن هذه الوضعية بقوله:

فصاحةَ حسانَ وخطُ ابنِ مقلةٍ وحكمـةَ لقمـانَ وزهـدَ ابـنِ أدهـم
إذا اجتمعت في المرء والمرء مفلس ونـودي عليـه لا يبـاع بـدرهم[2]

قد يكون الشاعر بالغ إلى حد كبير؛ ولكننا نجد شاعرا آخر يتحدث عن دور المال في العلاقات الاجتماعية. وكأنه جرب الأصدقاء في اليسر والعسر، والغنى والفقر، حيث يقول:

إن قل مـالي فمـا خـل يصـاحبني أو زاد مـالي فكـل النـاس خـلاني
فكم عدو لأجل المال صاحبني وكم صديق لأجل المال عاداني[3]

وبما أن الدراهم لها هذه المكانة العظيمة في نظر الكثير؛ أمر القرآن الكريم بالإنفاق من المال الذي يشملها وغيرها مبينا مالكها الحقيقي

١ – جواهر الأدب٤٩٠
٢ – جواهر الأدب ٤٨٩
٣ – جواهر الأدب٤٨٨

قال تعالى: ﴿ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ﴾[1] يقول الشيخ السعدي "فكما أن المال مال الله وإنما الذي بأيديكم عطية من الله لكم ومحض منَّة، فأحسنوا لعباد الله كما أحسن إليكم. انتهى

فكأن القرآن الكريم يُذَكّر الموسر بالمالك الحقيقي لهذا المال حتى يخف التعلق القلبي بهذا المتاع الذيَ يملكه غيره، قال تعالى: ﴿ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ﴾[2] فالموسر مستخلف مؤتمن، والقناعة بمضمون هاتين الآيتين الكريمتين تحقق كثيراً من التوازن بين الموسر والمعسر. فالموسر إن أعطى المعسر يعتقد ويشعر أنه ينفذ أمر المالك الحقيقي، والمعسر إن أخذ يشعر بأن الموسر وسيط نزيه، ورسول أمين، مستحضرا المثل العمري "إذا جاد المعطي، جاد عمر، وإذا منع المعطي، منع عمر".

١ – النور: ٣٣

٢ – الحديد: ٧

أيها الأحبة الكرام.. بعد أن تستقر هذه الحقيقة في النفس المؤمنة تأتي بعد ذلك ضمانات تحفظ للمسكين كرامته كما أسلفنا، وسأقتصر على ثلاث آيات تتعلق بهذه الضمانات على غرار ما تقدم في مفهوم الحض في الوقفة الأولى.

الضمانة الأولى في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتۡبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنّٗا وَلَآ أَذٗى لَّهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٢٦٢ ﴾[1] فأنت تعلم أن (الذين) مبتدأ وخبره المبتدأ مع خبره {لهم أجرهم }وقوله تعالى {عند ربهم} فيه لفتة جميلة تطمئن المنفق المؤمن بأن ثمرة إنفاقه محفوظة عند من لا تخفى عليه خافية وهو العليم القدير، ثم يأتي قوله تعالى: {ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون} ليبشر المنفق بمستقبله ويطمئنه على ما ترك بعده، لكنك تعجب عندما ترى هذا القيد الفريد، والضابط العجيب، {ثُمَّ لَا يُتۡبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنّٗا وَلَآ أَذٗى }الذي جاء معترضا بين المبتدإ وخبره، فلن يجد النحوي –مثلاً– الخبر الذي هو حاكم على المبتدإ وموضح لمعناه إلا بعد تحقيق هذا الشرط (ثُمَّ لَا يُتۡبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنّٗا وَلَآ أَذٗى) ولن يحصل المنفق على الهدف الأسمى (لَّهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ) إلا بعد هذه الضمانة، ولن يجد القارئ وقفاً حسناً يقف عليه، بل سيصدم بـ(لا) التي

---

١ – البقرة: ٢٦٢

تدل على منع الوقوف على كلمة (أذى) لأن الشرط لا يمكن أن ينفك عن المشروط، وكأنها كلّها حماية لكرامة المسكين ، وحماية في نفس الوقت لحسنات المنفق، وكلمة {يتبعون} لها دقتها المتناهية، وعمقها المتفرد، وتوضيحا لذلك لو أن ((زيدا)) من الموسرين أعطى صدقة لـ(عمرو) من المعسرين، وقال له وقت الإعطاء: لقد أعطيتك الصدقة لأنك محتاج إلينا، أو نحو ذلك مما يصنف -حسب سياقه- في خانة المن أو الأذى لرفض المسكين تلك الصدقة ؛ لكن عندما يعطيه الصدقة في جو هادئ طبعي ثم يتبعه بعد ذلك بالمن أو الأذى، وبعد أن صرف المسكين ما دفع إليه فإن الصدقة التي دفعها الموسر تكون بمنزلة السيف المسلط على رقبته يهدد به كل حين، و لو افترضنا أنه رد له المال فإن المن والأذى قد أخذا مكانهما في نفس المسكين وتلوثت سمعة المسكين بين الناس .

والمن في الآية الكريمة كما يقول القرطبي [هو ذكر النعمة على معنى التعديد لها والتقريع بها، مثل أن يقول: قد أحسنت إليك و نعشتك، وشبهه وقال بعضهم: المن التحدث بما أعطى حتى يبلغ ذلك المعطَى فيؤذيه، والمن من الكبائر ثبت ذلك في صحيح مسلم وغيره، وأنه أي (المانُّ) أحد الثلاثة الذين لا ينظر الله إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم، وفي النسائي (**الْعَاقُّ لِوَالِدَيْهِ،**

وَالْمُدْمِن الْخَمْرَ ، وَالْمَنَّانُ بِمَا أَعْطَى)[1] وعند مسلم: **(الْمَنَّانُ الذى لاَ يُعطى شَيْئًا إِلاَّ مَنَّه)**[2] أما الأذىَ فإنه أشمل من المن، ذكر القرطبي أنَ سلام المنفَق على مَن أنفق عليه قد يحرم، إذا كان يفهم منه المن أو الأذى! في قوله (لئن ظننت أن سلامك يثقل على من أنفقت عليه تريد وجه الله فلا تسلم عليه) [3].

نقل الذهبي في سير أعلام النبلاء قول التابعي الجليل مطَرف بن عبد الله لبعض إخوانه: يا أبا فلان، إذا كانت لك حاجة فلا تكلمني، واكتبها في رقعة، فإني أكره أن أرى في وجهك ذل السؤال[4]. المهم أن كرامة المسكين مصانة بسلاح وعيد المن والأذى، فكأن الموسر يقال له إن كنت تريد الأجر عند ربك، والأمن في المستقبل، وعدم الحزن على ما مضى، فتجنب أذية المسكين، أو المن عليه بما أعطيته، وليكن شعارك ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝٩﴾[5] أما إن أبى هذا المنفق إلا المن أو الأذى، فليعلم أنه سيحرم من الخصال الثلاث: الأجر، والأمن من الخوف، وعدم الحزن وإذا سببت له إذلالا

١ – النسائي ٢٥١٥

٢ – مسلم ٣٠٧

٣– القرطبي (٣ / ٣٠٨) .

٤– سير أعلام النبلاء ٤/١٩٤.

٥ – الإنسان: ٩

بمنك، أو أذيتك في الدنيا، وكان المسكين مؤمناً صابراً محتسباً، فإن الرسول ﷺ أخبر عنه وعن أمثاله بقوله: (قُمْتُ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ فَكَانَ عَامَّةَ مَنْ دَخَلَهَا الْمَسَاكِينُ وَأَصْحَابُ الْجَدِّ مَحْبُوسُونَ)[١].

وينبغي أن نعلم أنَ هذا المسكين، وأمثاله من الضعفاء، هم من أسباب نصرنا على الأعداء، ورزقنا من السماء، يقول ﷺ: (إِنَّمَا تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ بِضُعَفَائِكُمْ)[٢]

الضمانة الثانية ترك الأذى في قوله تعالى: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾﴾[٣] أي قول جميل للفقير مثل أن يقول له يوسع الله عليك { ومغفرة } أي يستر على المسلم خلته وفاقته وقيل أراد بالمغفرة التجاوز عن السائل إن استطال على المسئوول وقت رده ذكره ابن الجوزي في زاد المسير[٤] فأنت تعجب عندما ترى القرآن الكريم يبالغ في حماية كرامة المسكين كما يبالغ في نفس الوقت في حماية حسنات المنفق فكأن الآية الكريمة تقول له أنت موسر وأخوك معسر ومن واجبك الديني وذوقك الانساني

١ – متفق عليه (البخاري ٦٥٤٧ مسلم٧١١٣)

٢ – رواه البخاري٢٨٩٦

٣ – البقرة: ٢٦٣

٤ – زاد المسير ١/١٧٢.

أن تنفق عليه ولكن إذا كنت لا بد أن تتبع صدقتك بالأذى فالأحسن حفظا لدراهمك والأحسن للمسكين حفظا لكرامته أن تمسك صدقتك ولتخاطبه بكلام لين وحاول أن تقدم له صدقة من نوع آخر ويعود نفعها إليك (تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ)[1] والقول المعروف والرفق يشعرانه بالإكرام المعنَوي، وهو هنا مقدم على الإكرام المادي المجسد في الصدقة، لأنه متبوع بإذلال معنوي، فالمقارنة هنا بين خير محض وهو القول المعروف وتحمل أذى الفقير، أما الصدقة التي يتبعها أذى فإنه خير اجتمع معه شر، والخير المحض أولى وإن كان قولاً حسناً من خير ممزوج بشر.

الضمانة الثالثة في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ ﴾[2] إن النداء بهذه الصفة الجميلة وهي صفة الإيمان تجعل المسلم يراجع نفسه قائلاً لقد آمنت بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ رسولاً، وربي الذي خلقني ورزقني وهداني يناديني بأجمل صفة وهي صفة الإيمان فلا بد أن أصغي و أستجيب لهذا النداء حتى أعرف الأمر الذي يريد مني تنفيذه أو الابتعاد عنه، المهم أن أكون جاهزا لكل ما يراد مني، ثم يأتي النهي في الآية الكريمة عن شيء يضر الموسر في الأخرى ويضر المعسر في

١ – الترمذي ٢٠٨٣

٢ – البقرة: ٢٦٤

الدنيا {لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى} ولا تذكر هذه الآية لفظة إتباع المن والأذى للصدقة؛ لأنها ذكرت في الآيتين السابقتين، وكأنها ترسخت في ذهن القارئ والسامع فلا داعي لذكرها مرة أخرى، والتعبير بالإبطال له وقعه القوي في النفس، فكأن المنان يبطل صدقته بالمن والأذية كما يبطل المصلي صلاته بالحدث فيلزمه إعادتها، فكأنه يقال له: إن كنت تريد من وراء الصدقة أذية هذا المسكين كان الأولى بك أن تستفيد من الدراهم التي دفعتها له بدلاً من جعلها هباء منثوراً بمجرد كلمات، والخلاصة أنه ليس من الإنصاف أن يجتمع للمسكين ذل المسكنة وذل المن والأذية، ويجتمع للموسر عز تملك المال والحصول على الأجر وإذلال المعسر إن كان يستمتع بذلك كأصحاب الفطر المنكوسة، ويشهد لهذه القاعدة ما رواه مسلم من حديث أبي هريرة: **(إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ ... وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا قَالَ مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلاَّ أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ قَالَ كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ هُوَ جَوَادٌ. فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ)**.[1]

١ - رواه مسلم ٥٠٣٢

هذا الحديث يبين خطورة ما أشارت إليه الآية الكريمة السابقة {كالذي ينفق ماله رئاء الناس} فالقرآن الكريم نهى المنفق عن إبطال صدقته بالمن والأذى، ثم شبهه بالمنفق رياء في تقرير الحكم، فقوله ﷺ: **(فَعلتَ ليقَالَ جوادٌ فقَدْ قيل)** دليل على أن المنفق أخذ حظه في الدنيا، فينبغي للعاقل أن يأخذ العبرة من هذه النصوص، وليعلم أن المتاح أمامه خياران فقط: إما أن يعمل لوجه الله، -والنتيجة سيأخذها مؤجلة وقد يأخذها معجلة أيضا مصداقا لقوله صلى الله عليه وسلم عندما أجاب السائل – **(أَرأَيْتَ الرَّجل يعمل الْعمل من الْخَيْرِ ويَحْمدُهُ النَّاس عَلَيْه قَالَ «تلْكَ عَاجلُ بشْرى الْمُؤْمن)**[1]- وإما أن يعمل لمجرد الذكر الحسن في الدنيا، -والنتيجة سيأخذها معجلة- نسأل الله السلامة والعافية، وهذا ينطبق على المنفق أو الموسر، فهو إما أن يلبي شهوة لسانه بالأذية أو المن على هذا المسكين، ويكون قد أخذ نصيبه معجلا، وإما أن يمسك لسانه ويمنع هذه الجارحة الصغيرة شهوتها، وينال في مقابل ذلك الثمرة المؤجلة الباقية.

أخي الحبيب: هذه الآيات الثلاث ضمانات لكرامة المسكين، وكلها ضمانات في نفس الوقت لحسنات المنفق كما تقدم . والآياتُ في هذا المجال كثيرة ، لكنني اقتصرْتُ على أهمِ ما يوضّحُ الفكرةَ .

١ – مسلم ٦٧٩١

ومن هذه الضمانات أيضا النصوص التحذيرية و الزواجر الوعيدية التي تحذر من المسألة وتنفر منها؛ يقول عليه الصلاة والسلام: **(لاَ تَزَالُ الْمسأَلَةُ بأَحَدكُمْ حتَّى يلْقَى اللَّه ولَيْس فى وجْهه مُزْعةُ لَحْم)**[١] فنحن نلاحظ هذا التنفيرَ الشديد، والتحذير العجيبَ، من المسألة بتصوير الآثار المترتبة عليها، وكأن الشارع بهذا الوعيد، يحمي المسكين من إذلال نفسه بالمسألة، إذ الإسلام يقول له: لابد أن تكرم نفسك بالعفة، وتحصنها بالقناعة، وإلا ستذلُّ يوم القيامة؛! والمؤمن بطبيعة الحال سينزجر مخافة الوعيد الشديد. يقول عليه الصلاة والسلام **(لأَنْ يَحْتَطب أَحدُكُمْ حزْمَةً علَى ظَهْره خيْرٌ لَهُ من أَنْ يسأَلَ أَحدًا فَيُعطيَه ، أَوْ يَمْنَعه)**[٢] ويقول عليه الصلاة والسلام: **(ومَن يستعففْ يعفَّهُ اللَّهُ ، ومن يستغْن يغْنه اللَّه)**[٣] ويقول عليه الصلاة والسلام: **(لَيس الْغنى عن كَثْرة الْعرض ولَكنَّ الْغنى غنى النَّفْس)**[٤] ويقول ﷺ: **(قَدْ أَفْلَح منْ أَسْلَم ورزقَ كَفَافًا وقَنَّعه اللَّهُ بما آتَاهُ)**[٥] ويقول عليه الصلاة والسلام: **(لَيس الْمسْكينُ الذي يطُوفُ علَى النَّاسِ تَردُّه اللُّقْمَةُ واللُّقْمتان والتَّمرةُ**

١ – رواه مسلم ٢٤٤٣ ومزعة لحم أي قطعة لحم.
٢ – البخاري ٢٣٧٤
٣ – البخاري ١٤٩٦
٤ – البخاري٦٤٤٦
٥ – رواه مسلم ٢٤٧٣

والتَّمرتان ولَكن الْمسكين الَّذي لاَ يَجدُ غنىً يُغْنيه ، ولاَ يُفطَنُ به فَيُتَصَدَّقُ عَلَيْه ، وَلاَ يَقُومُ فَيَسْأَلُ النَّاسَ)[1] هذه الأحاديثَ كلها تعطي دَرَوسا عملية للمسَكين في حفظ كرامته، فالرسول ﷺ الذي هو أولى بالمؤمنين من أنفسهم، يفضل ويختار لهذا المسكين التعب الجسمي على الإذلال المعنوي ، (لأَنْ يَحْتَطِب أحدُكُم حزمةً علَى ظهْرِه خير لَه) من مغامرة السؤال الذي هو إذلال معنوي وقد يعطى شيئا وقد يحرم، وكذلك قوله ﷺ: (من يستعِفَّ يعِفَّه الله ، ومن يستغْنِ يغْنِه الله) فإنه توجيه نبوي عجيب، لأن النفس البشرية إذا لم تلجم بلجام الصبر، وتحصن بسياج القناعة، تجاوزت الحدود المعقولة، وتبخر ذوقها الأخلاقي الرفيع، وقوله ﷺ: (ليس الغنى عن كَثْرة العرض) يعطي حقيقة عجيبة عن النفس البشرية، وهو توجيه تربوي فريد، أما قوله ﷺ: (ليس المسكين الذي يطُوفُ علَى النَّاس تردُّه اللقْمة واللُّقْمتان...إلخ) فإنه توجيه ضروري و هام لنوعية من البشر، من السهل عليها أن تريق ماء وجهها بأي ثمن!.

وهنا يرشد المعصوم ﷺ الموسرين، ويخبرهم بأن الأولوية في الإنفاق والأسبقية في الإطعام للمسكين المتعفف، الذي لا يسأل الناس ولا ينتبهون لمأساته فيواسونه، والصدقة على هذه النوعية أولى من غيرها للسببين التاليين:-

١ – البخاري ١٤٧٩

أولا: تشجيعا لهذا المسكين على تعففه وقناعته.

ثانياً: مادام متعففاً فإن له ذوقا سليماً يمنعه من إذلال نفسه، وبالتالي فإن دفع الصدقة له يؤدي إلى المصلحة المحضة بالنسبة له، أما الذي يطوف على الناس وترده التمرة والتمرتان واللقمة واللقمتان ويسأل الناس إلحافا، فإنه يحتاج إلى دروس عملية وإذا لم يفده الوعظ والتوجيه، فلابد من نوع من التوازن والاعتدال في التعامل معه، فهو من جهة يحتمي ويتترس بنص قرآني يحميه من الأذية، وهو قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾﴾[1] وهو من جهة أخرى ما دام لا يمتلك مناعة قوية وحصانة مبدئية تجعلانه يحافظ على كرامته، فينبغي ألا يشجع على ما يؤدي إلى إذلال نفسه، لأن الاستمرار على المسألة يحولها إلى جزء من تكوين الإنسان، وتصير بشكل تدريجي مهنة تلازمه ويلازمها، والإسلام لا يريد هذا ولا يشجع عليه، بل يريد لكل أبنائه أن يعيشوا كرماء متراحمين متعاونين فيما بينهم، مصداقا لقوله ﷺ: **(مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِى تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى)**[2]

---

١ – الضحى: ١٠

٢ – ومسلم٦٧٥١

ويخبرنا ﷺ بأنه لا إيمان أو لا يتم إيماننا، حتى يحب كل منا لأخيه ما يحب لنفسه، يقول ﷺ: **(لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ)**[1]

أحبتي الكرام إننا نحتاج إلى التذكير بهذه المعاني الإيمانية الجميلة، بين الفينة والأخرى، لننفض عنا بعض غبار المدنية المادية الحديثة، التي غزت كثيرا من العقول والقلوب.

١ – رواه البخاري ١٣

معاملة الإنسان حسب الظاهر

أخي الحبيب قد تستغرب أن بعض الماديين الجدد يشككون في كل عمل خيري!. إن رأوا مثلاً موسراً ينفق على معسر، شككوا في عمله، وقالوا إنه يريد مصلحة مادية من وراء ذلك، أو شككوا في نيته التي لا يطلع عليها إلا علام الغيوب!، وإن رأوا جمعية خيرية تمثل جسرا آمناً، ومعبراً حصينا بين الموسر والمعسر، شككوا في القائمين عليها وفي نياتهم. ومن العجيب أنك ترى الأفراد القائمين على هذه الجمعيات الخيرية الإغاثية في كثير من البلدان، يسهرون من أجل راحة المسكين، ويتعبون من أجل مصلحة المحتاج، ينفقون طاقاتهم العقلية والبدنية ليكونوا جسراً آمناً بين الموسر والمعسر ابتغاء مرضاة الله، بينما ترى أناسا لا هم لهم إلا التشكيك في عمل هؤلاء الأخيار أو نياتهم كما أسلفنا، مع أننا لا نؤمن بعصمة هؤلاء، ولكن نعتقد في نفس الوقت أنهم يقومون بعمل جليل، ولا يسعنا إلا أن ندعو لهم بالتوفيق والسداد، وينبغي أن نحكم عليهم بما حكم به الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه في قوله: (**إِنَّ أُنَاسًا كَانُوا يُؤْخَذُونَ بِالْوَحْيِ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِنَّ الْوَحْيَ قَدْ انْقَطَعَ وَإِنَّمَا نَأْخُذُكُمْ الْآنَ بِمَا ظَهَرَ لَنَا مِنْ أَعْمَالِكُمْ فَمَنْ أَظْهَرَ لَنَا خَيْرًا أَمِنَّاهُ وَقَرَّبْنَاهُ وَلَيْسَ إِلَيْنَا مِنْ سَرِيرَتِهِ شَيْءٌ اللَّهُ يُحَاسِبُهُ فِي**

سَرِيرَتِه وَمَنْ أَظْهَرَ لَنَا سُوءًا لَمْ نَأْمَنْهُ وَلَمْ نُصَدِّقْهُ وَإِنْ قَالَ إِنَّ سَرِيرَتَهُ حَسَنَةٌ)[1].

ما أعدل هذا القانون العمري، والميزان الراشدي، إنها قاعدة فريدة، قمة في الإنصاف، تقطع الطريق أمام المراوغين الذين يحاولون قلب الحقائق، وتنكيس المفاهيم، وقد رسخ القرآن الكريم هذه القاعدة الجميلة، حاملا حملة شرسة على من يسعى إلى خلط الأوراق، وتشويش الأفكار، مستخدما الاستفهام الإنكاري، كقوله تعالى: ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ ﴿١٨﴾ ﴾[2] وقوله تعالى: ﴿ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾[3] فالحكم على الظواهر هو المتاح وحده لنا، وينبغي أن يتعامل بعضنا مع بعض على أساسه!، وقد نظم العلامة محمد مولود الشنقيطي رحمه الله هذه الفكرة في بيتين من كتابه مطهرة القلوب حيث يقول:

والظـــن بعـــض منـــه لا يبـــاح ... كالســـو بمـــن ظـــاهره ا لصـــلاح
وظنـــنا بفاســـق نظـــير مـــا ... يظهـــر منـــه لم يكـــن محرمـــا[4]

١ – رواه البخاري ٢٤٤٧

٢ – السجدة: ١٨

٣ – القلم: ٣٥ – ٣٦

٤ – شرح أحمد الخديم على مطهرة القلوب ص٨١.

وخلاصة البيتين أن ظن السوء بالإنسان الذي ظاهره الصلاح والاستقامة لا يجوز، لأنه مخالف للواقع، أما ظن السوء بالإنسان الذي ظاهره الفسق والانحراف فليس محرما لموافقته للواقع المشاهد..

إن عدالة الإسلام تقتضي أن نتعامل مع الأشخاص حسب ما يظهر من حالهم، ونترك باطنهم لمن يعلم السر وأخفى، إن فكرة ربط المادية بالإسلام، والتي تؤدي في النهاية إلى التشكيك في كل عمل صالح، باعتبار أن صاحبه لم يفعله إلا ويرجو من ورائه مكسبا ماديا، وغرضا دنيويا، فلسفة خطيرة، ولوثة دخيلة، تعارض بديهيات الدين، وأدبيات الإسلام. فنحن نعلم أن الرسول ﷺ عندما ضيق على دعوته ﷺ في مكة من طرف قريش، هاجر إلى المدينة، وبدأ تأسيس دولته وبما أن آصرة الأخوة، وخاصية الوحدة، ورابطة الثقة، ينبغي أن تكون أساسا لكل عمل نبيل يراد له الاستمرار والبقاء، لتلك الأسباب فقد آخى ﷺ بين المهاجرين والأنصار رجلين رجلين، وقد برزت صفات للرعيل الأول تقضي على الفكر المادي وإليك هذا الحديث الذي يبرهن على ذلك:"

روى البخاري في صحيحه قال: (آخَى رسولُ اللهﷺ بَيْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَسَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ قَالَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ إِنِّي أَكْثَرُ الأَنْصَارِ مَالاً فَأَقْسِمُ مَالِي نِصْفَيْنِ وَلِيَ امْرَأَتَانِ فَانْظُرْ أَعْجَبَهُمَا إِلَيْكَ فَسَمِّهَا لِي أُطَلِّقْهَا فَإِذَا انْقَضَتْ عِدَّتُهَا فَتَزَوَّجْهَا قَالَ بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ أَيْنَ سُوقُكُمْ فَدَلُّوهُ عَلَى سُوقِ

بَنِي قَيْنُقَاعَ)[1]. هذا الموقف العجيب، لم يكن بدافع قرابة عرقية، أو علاقة نسبية، أو نزعة جهوية، وإنما أبرزته الآصرة الإسلامية، والأخوة الإيمانية، والمحبة العاطفية الدينية التي خالطت بشاشة القلب، وتلك العاطفة الإيمانية عندما تخالط قلب المؤمن ويخالطها، يهون عنده كل شيء في سبيلها، إنه موقف واحد، يكفي للرد على من يربط كل عمل إسلامي أو خيري بالمادية، أي أن صاحبه يريد من ورائه مكسبا ماديا دنيويا، وإذا كان هذا موقفاً فرديا، فإن هناك موقفاً جماعياً يبرهن على الإيثار الذي تميز به سلفنا الصالح. روى البخاري من حديث أبي هريرة قالت الأنصار للنبي ﷺ: **(اقْسِمْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ إِخْوَانِنَا النَّخِيلَ قَالَ لَا فَقَالَ تَكْفُونَا الْمَئُونَةَ وَنُشْرِكْكُمْ فِي الثَّمَرَةِ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا)**[2]

أحبتي الكرام إننا نحتاج دائما إلى التذكير بهذه المواقف الإيمانية العجيبة، علها تساعد في بناء سد منيع، أمام طوفان المدنية المادية الحديثة! [**إِنِّي أَكْثَرُ الأَنْصَارِ مَالًا، فَاقْسِمْ مَالِي قِسْمَيْنِ** إلخ] إنه موقف ينبغي أن يتكرر على آذان الموسرين الأخيار، ليستشعروا آثار التضحية، ويروا كيف تصنع أخوة الإسلام في النفس البشرية، إن التاريخ سجل هذا الموقف العجيب لسعد رضي الله عنه، وقد استشهد بعد ذلك بسنتين في [غزوة أحد] وبقي الموقف المشرف ترده

١ – رواه البخاري ٣٧٨٠

٢ – البخاري ٢٠١٨

ألسنة الملايين عبر القرون!! كما أننا نحتاج إلى تكرار هذا الموقف [بارك الله لك في أهلك ومالك وأين سوقكم، ،،الخ] إنه موقف رائع ينبغي أن يكرر على مسامع كثير من المعسرين، ليأخذوا منه دروسا في القناعة والإنتاجية معاً، والبعد عن الاستغلال.

من خلال النصوص السابقة في هذه الوقفة يتضح لنا أن الإسلام يحافظ على كرامة المسكين وحسنات المنفق معاً، ومن المناسب أن نسلط بعض الضوء على دور الموسر ومكانة المنفق من خلال باقة من الأحاديث النبوية..

يقول ﷺ: **(لاَ حَسَدَ إِلاَّ فِي اثْنَتَيْنِ رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالاً فَسُلِّطَ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْحِكْمَةَ فَهْوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا)**[1]. ويقول ﷺ: **(اَلْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى)**[2]. إن الموَسر المنفق، بمنزلة النهر الجاري، والينبوع الصافي الذي يسقي العطاش، وينبغي أن نَذْكُر باقة من الأحاديث النبوية التي تقدم لنا الأسبابَ التي تجعل الموسر يحافظ على جريان هذا النهر، يقول ﷺ: **(أَنْفِقْ يَا ابْنَ آدَمَ أُنْفِقْ عَلَيْكَ.)**[3]ويقول ﷺ: **(مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلاَّ عِزًّا وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلاَّ رَفَعَهُ اللَّهُ)**[4] ويقول

١ – البخاري ٧٣

٢ – البخاري ١٤٢٩

٣ – البخاري ٥٣٥٢

٤ – رواه مسلم ٤٦٨٩

ﷺ: (مَا من يوم يُصبح الْعبادُ فيه إلاَّ ملكَان ينزلاَن فَيقُولُ أَحدهُما اللَّهمَّ أَعْط منفقًا خلفًا ويقُولُ الآَخرَ اللَّهُمَّ أَعط مُمْسكًا تَلَفًا)[1] هذه الأحاديث وغيرَها تدَل بشكل صريح على أن الإنفاق سَببَ في زيادة الرزق، وأن الصدقة لا تنقص المال، وهذا وعد من الشارع نؤمن به ونصدقه، والعاقل يستسلم لأمر الله، منقاداً ومستسلما لقضائه، معتقداً أن الوعد سيتحقق لا محالة، قد تأتي الزيادة في الرزق بطرق مختلفة لا نعلمها، فقد تكون الزيادة بوسيلة البركة في المال، أو الوقت أو العمر، أو غير ذلك مما يعلم الموسر حكمته أو لا يعلمها، أما ما يدخره الله سبحانه وتعالى للمنفق يوم القيامة، فقد تقدمت الإشارة إلى بعض منه في آيات سورة البقرة السالفة، ولعلي أقتصر على حديثين فقط يبرهنان على مكانة الصدقة، يقول ﷺ: (مَنْ تَصدَّقَ بعدْل تَمْرة من كَسْب طَيّب ولَا يقْبَل اللَّهُ إلا الطّيب وإنَّ اللَّهَ يتَقَبَّلُهَا بيمينه ثُمَّ يربيها لصَاحبه كَمَا يُرَبّي أَحدُكُم فَلُوَّهُ حَتَّى تَكُونَ مثْل الجْبَل)[2]، ويقولَ ﷺ: (اتَّقُوا النَّارَ ولو بشقّ تَمْرَة)[3]. فإذا كانت الصدقةَ بالتمرة من الكسب الطيب تنمو حتى تكون مَثلَ الجبلَ، وإذا كانت الصدقة بشق تمرة بهذه المنزلة، فما بالك بمن وفقهم الله لتفريج كربات المسلمين والمسلمات، ويضربون في كل غنيمة بسهم متفننين في

١ – البخاري ١٤٤٢

٢ – البخاري ١٣٢١. و الفلُوُّ بفتح الفاء وضم اللام المهر وهو صغير الخيل.

٣ – رواه البخاري ٥٥٦٤

إكرام إخوانهم المحتاجين، إيمانا منهم بأن الجزاء من جنس العمل، يواسونهم لينطبق عليهم قوله ﷺ: **(أَيُّمَا مُسْلِمٍ كَسَا مُسْلِماً ثَوْباً عَلَى عُرْيٍ كَسَاهُ اللَّهُ مِنْ خُضْرِ الْجَنَّةِ وَأَيُّمَا مُسْلِمٍ أَطْعَمَ مُسْلِماً عَلَى جُوعٍ أَطْعَمَهُ اللَّهُ مِنْ ثِمَارِ الْجَنَّةِ وَأَيُّمَا مُسْلِمٍ سَقَى مُسْلِماً عَلَى ظَمَإٍ سَقَاهُ اللَّهُ مِنَ الرَّحِيقِ الْمَخْتُومِ)**[١].فالموسرون الأخيَار، والموفقون الأَبرار، يعتبرون الخطَايا والمعاصي مثل النار التي لا بد أن تطفَأ بالماء وإلا أحرقت الجميع، والصدقة في قاموسهم وسيلة ناجعة لإطفائها، يقول ﷺ: **(الصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ)**[٢]

أخي الكريم لم يبق بعد هذه النصوص التي تحدثت عن العلاقة بين الموسر والمعسر، وضرورة إيجاد جسور تربط بينهما، إلاَّ أن يرفع (زيدٌ) وغيره من الموسرين، الشعار الربانيّ: ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ ﴾[٣] ويتحلّى (عمرو) وغيره من المعسرين بالصفات الإيمانية الجميلة، والخصال الحميدة النبيلة، كالصبر، والقناعة، والعفاف، وطهارة القلب من الأحقاد و الأضغان والحسد، ولْيسمع معي ما يقوله محسود يخاطب حاسده:

أيا حاسداً لي على نعمتي ... أتدري على من أسأت الأدب

١ – أبو داود ١٦٨٤

٢ – رواه الترمذي٢٦١٦

٣ – الإنسان: ٩

أسأت على الله في حكمه لأنك لم ترض لي ما وهب
فأخزاك ربي بأن زادني وسد عليك وجوه الطلب[1]

أخي الحبيب.. ينبغي أن تكون راضيا عن حالك وواقعك، الذي اختاره لك ربك وخالقك –بعد بذل الأسباب–، مدركا أن وراء هذا الاختيار حكمة قد تخفى عليك، قد تكون يا (عمرو) وغيرك من المعسرين من فئة ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ٧﴾[2] وقد تكون من فئة يمنعها المال من الراحة النفسية، والطمأنينة الإيمانية، مما يمنع حضور القلب أثناء العبادة، وقد تكون، وقد تكون.. المهم أن ترضى بما اختاره الله لك، وما قدره عليك، ولْتعلم أنك ما دام الله أنعم عليك بنعمة الإسلام، فأنت ضمن قائمة المكرمين الأخيار، أما من حرم هذه النعمة فلن يستفيد من هذا التكريم: ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍ﴾[3]

١ – موسوعة الأدب الإسلامي ١/١٤٥.
٢ – العلق: ٦ – ٧
٣ – الحج: ١٨

الوقفة الثالثة: من المستفيد؟

تقدم معنا في الوقفة السابقة (الإسلام وحفاظه على كرامة المسكين وحسنات المنفق) مجموعة من الآيات والأحاديث التي تتعلق بالإنفاق وفضله، وأحببت في هذه الوقفة أن أتطرق للحديث عن بعض فوائد الصدقة حتى نعلم أن الموسر هو الرابح و أن المنفق هو المستفيد.

يقول ﷺ: **(حَصِّنُوا أَمْوَالَكُمْ بِالزَّكَاةِ، وَدَاوُوا مَرْضَاكُمْ بِالصَّدَقَةِ، وَأَعِدُّوا لِلْبَلاءِ الدُّعَاءَ)**[1]. في هذا الحَدِيث َيوصي ﷺ الموسرين َبتحصينَ أموالَهم، وَيقدمَ لهم الوسيلة الناجعة والطريقة النافعة "حصنوا أموالكم بالزكاة" فالمال عادة معرض لكثير من الأخطار المادية والمعنوية ولكنَّ أصحابه عندما يستضيئون بهذا التوجيه النبوي فيدفعون زكاة أموالهم لأهلها المستحقين فإنهم يحصنونها وقد يكون في قول نبي الرحمة **(صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ)**[2] – ما يساعد على تحصين المال وسيادة َالسلم َالاَجتماعي بين أَفرادَ المجتمع، ولتوضيح هذه الفكرة: لو أن (زيدا) من الموسرين على سبيل المثال له تجارة وأموال في مدينة أو قرية أو حي وهو يؤدي زكاة ماله كما أوجبه الله عليه، و طبقا للتوجيه النبوي من دفعها لأهل تلك المدينة أو القرية أو الحي، فإن أفراد

---

١ – أخرجه الطبراني في الكبير ١٠٠٤٤

٢ – البخاري ١٤٩٦

ذلك الحي أو تلك المدينة إذا رأوا من يريد الاعتداء على ممتلكات (زيد) المذكور فإنهم سيدافعون عنها، ومن الناحية النفسية والشعورية فإنهم يفرحون لربحه ويحزنون لخسارته، وبهذا التحصين يسود السلم الاجتماعي، – كما أسلفنا – والموسر أو المتصدق يبدو- ومن خلال هذا الحديث- أنه هو المستفيد بالدرجة الأولى: **(وداووا مرضاكُم بالصَّدَقَة)** عندما يكون للواحد منا أحد الأقرباء ومرض هذا القريب لاشك أننا سنبذل ما في وسعنا من طاقة مادية وغيرها سعياً لعلاج هذا القريب العزيز المريض، وعندما يعالجه طبيب ويعطيه الله الشفاء على يديه فستكون لهذا الطبيب مكانة خاصة في أنفسنا، ومحبة عاطفية في قلوبنا ردا له بالجميل على معروفه، وقد ينطبق علينا قول الشاعر:

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم فطالما استعبد الإنسان إحسانُ[1]

ولكنَّ المهمةَ العظيمة التي أنجزها الطبيب –بفضل الله سبحانه وتعالى – قد تتحقق بل يتحقق مايعجز عنه الطبيب من خلال وسيلة أخرى من (إغاثة) لملهوف، أو (إكرام) ليتيم، أو (إطعام) لجائع،أو (إعانة) لفقير، أو (مساعدة) لمحتاج.. إلخ ألوان متعددة وأطياف متنوعة يجمعها عنوان"الصدقة" ويقول ﷺ: **(إِنَّ هَذَا الْبَيْعَ يَحْضُرُهُ الْكَذِبُ وَالْيَمِينُ فَشُوبُوهُ بِالصَّدَقَةِ)**[2]هذا توجيه نبوي

١ – جواهر الأدب ص٤٣٠.

٢ – المستدرك ٢١٣٨

كريم للتجار والموسرين، فكثير من الناس في معاملاتهم التجارية اليومية قد لا يسلمون من اللغو والحلف والكذب، وقد ينتج جراء هذه السلبيات مخاطر، لهذا أرشدنا الحبيب ﷺ إلى أن نقوم بعملية علاجية "فشوبوه بالصدقة" لعل هذه الإشابة تكون بمنزلة جناح الذبابة السليم الذي يقضي على داء الجناح الآخر بعد غمسه كما أرشدنا ﷺ! في الحديث الصحيح.

يقول ﷺ: **(صَنَائعُ الْمَعْرُوف تَقِي مَصَارِعَ السُّوء،)**[1] **(وَصَدَقَةُ السِّرِّ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ وَصِلَةُ الرَّحِم تَزِيدُ في الْعُمر)** [2] إن كل عاقل ينفر – وله الحق في ذلك– من مصارع السوء– أعاذنا الله منها– وقد أرشدنا النبي ﷺ وبين لنا أن صنائع المعروف بمفهومها الشامل تقي وتنجي من هذه المصارع السيئة **(وصَدَقَةُ السِّرِّ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ)**[3] صدقة لا يعلم المحتاج الذي دفعت إليه مصدرها ولا يعلَم محيطه الاجتماعي عنها شيئا هذه الصدقة البعيدة عن الذاتية والحظوظ النفسية يجازى صاحبها بما ذكره نبي الرحمة **(تطفئ غضب الرب)** ويظله الله سبحانه وتعالى تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله، لأنه هو الذي **(تَصدَّقَ بِصدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا**

---

١ – معجم الطبراني الكبير ٧٩٣٩

٢ – معجم الطبراني الكبير ٧٩٣٩

٣ – معجم الطبراني الكبير ٧٩٣٩

صَنَعَتْ يَمِينُهُ)[1] (وصلة الرحم) والتي هي نوع من الصدقة (تزيد في العمر) وبهذا تكوَن الصدقة والتي تشمل الزكاة وصدقة النفل وصلة الرحم حصانة للمال، ودواء للمرضى، وزيادة في العمر، و القارئ الكريم يعلم أن أغلى ما يقدمه المرء في سبيل الله نفسه وماله، قال تعالى:﴿ وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾[2] وبهذا تكون الصدقة سببا في الحفاظ على الإثنين معاً.

يقول ﷺ عندما سئل عن أفضل الأعمال: (أَنْ تُدْخلَ عَلَى أَخيكَ الْمُسْلم سُرُورًا أَوْ تَقْضي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ تُطْعمَهُ خُبْزًا)[3].

أفضلَ: أفعل تفضيلٍ وذَكرها النبي ﷺ في عدَة مناسبات ثم يأتي نبي الرحمة بهذا الحكم التوجيهي الإسلامي الاجتماعي وبسقفه العالي ((أفضل الأعمال)) ((أن تدخل على أخيك المؤمن سرورا)) والإدخال قد يدل على أنه عمل تم بوسيلة فتح باب أو استحداث منفذ (أن تدخل على أخيك المؤمن سرورا) ثم يأتي قول نبي الرحمة ((على أخيك المؤمن)) وهي كلمات إيمانية نبوية مشرقة، حيث عبر بالأخ حتى يستشعر المتصدق أو الموسر قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ ﴾[4]وكاف الخطاب له دلالته الخاصة، ثم وصف الأخ بالمؤمن حتى يستحضر

١ – البخاري ٦٦٠

٢ – التوبة: ٤١

٣ – رواه البيهقي في الشعب ٧٤١٥

٤ – الحجرات: ١٠

المتصدق الآية السابقة وقوله ﷺ : (**المُؤْمن للمُؤْمن كَالْبُنْيَان يَشُدُّ بَعْضُهُ بعضًا وشَبَّك بيْنَ أَصَابعه**)[1] ثم يذكر بعد ذلك الشَيء المدخل (سرورا) فكأن المتصدقين يعملون أعمالًا ظاهرة في الخارج ثم يعملون على إدخالها مخترقة الجلد واللحم والعروق حتى تصل إلى مكان السرور الباطني، إنها عملية إدخال شريفة بشهادة نبي الرحمة (أفضل الأعمال) ثم يذكر النبي ﷺ نماذج من هذا السرور (**أو تقضي عنه دينا**) والدين قد استعاذ منه النبي صلى الله عليه وسلم، وقرنه بقهر الرجال لاشتراكهما في إذلال كل منهما لصاحبه حيث قال: (**وأَعُوذُ بك منْ غَلَبَة الدَّيْن وقَهْر الرِّجَال**) [2] وهو هم بالليل وذل بالنهار، ولهذا أفرد القرآن الكريم بندا من بنود الزكاة(للغارمين) وهم فئة من أصحاب الدين، ثم يأتي قوله ﷺ (**أو تطعمه خبزا**) حتى تتجنب صفة من صفات أهل النار في قوله تعالى: ﴿وَلَمۡ نَكُ نُطۡعِمُ ٱلۡمِسۡكِينَ ۝٤٤﴾[3] "تطعمه خبزا" وقد يكون الخبز رمزا لما يحتاجه أخوك المسلم من أصناف الطعام، وينبغي أن يكون شعارك دائما: ﴿إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءٗ وَلَا شُكُورًا ۝٩﴾[4] لتنال الجزاء الأوفى والذي هو من

---

١ – رواه البخاري ٤٨١

٢ – قال في الأدب المفرد: وهو مخرج في الصحيحة ١٥١٤

٣ – المدثر: ٤٤

٤ – الإنسان: ٩

جنس عملك، قال تعالى: ﴿ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ ﴾[1] فعندما كان الإطعام لوجه الله ولا يريد صاحبه منه جزاء ولا شكورا، كان الجزاء من جنس عمله فالإطعام له بعدان بعد نفسي يتمثل في إدخال السرور، وبعد ظاهري يتمثل في غذاء الجسم فنضرة الوجه في الآخرة مقابلة لنضرة وجه أخيك المؤمن الناتجة عن إطعامك له في الدنيا، والسرور في الآخرة مقابل للسرور الذي أدخلته عليه في الدنيا.

المهم أن تجتهد لتحصل على أفضل الأعمال وهو "إدخال السرور" باستخدام كل وسيلة مشروعة، تدخل من خلالها السرور على أخيك المؤمن، قد تدخل السرور عليه من خلال نكتة هادفة، أو طرفة ماتعة، فنبي الرحمة يريد لأخيك المؤمن أن يعيش بعيدا عن القلق والحزن والأسى فعليك أن تعمل على إبادة جميع هذه الجراثيم الفتاكة بإدخال السرور عليه فهو السلاح الكفيل بالقضاء عليها!.

وأنتهز هذه الفرصة لأذكر نفسي وإخوتي الكرام بضرورة اصطحاب النية واستشعارها عند كل عمل مهما صغر، فأفضل الأعمال أعلنها النبي ﷺ في مناسبات عديدة، ومنها أن تدخل على أخيك المؤمن سرورا، ولكنه ﷺ اشترط النية للعمل **(إنَّمَا الأعمالُ بالنِّيَّات)**[2].

---

١ – الإنسان: ١١

٢– رواه البخاري(١) ومسلم(٤٥)

يقول ﷺ: **(مَنْ لَبِسَ ثَوْبًا جَدِيدًا فَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى كَسَانِى مَا أُوَارِى بِهِ عَوْرَتِى وَأَتَجَمَّلُ بِهِ فِى حَيَاتِى ثُمَّ عَمَدَ إِلَى الثَّوْبِ الَّذِى أَخْلَقَ فَتَصَدَّقَ بِهِ كَانَ فِى كَنَفِ اللَّهِ وَفِى حِفْظِ اللَّهِ وَفِى سِتْرِ اللَّهِ حَيًّا وَمَيِّتًا)**[١] إنه عمل بَسيط يَغفل عَنه كَثير مِنَ النَاس، فمَن رحمته ورأفته صَلى الله عليه وسلم حرصه الشديد على أن يجعل كل شيء في مصلحتك، فيرشدك إلى اقتناص كل فرصة وانتهاز كل مناسبة لصالحك، حتى الثوب الذي استغنيت عنه بثوب جديد، يدعوك إلى أن تتصدق به حتى تكون الصدقة به سببا في حفظك حياً وميتاً وأي نعمة أعظم من أن تحفظ في حياتك ومماتك، وانطلاقا من قوله ﷺ فيما رواه البخاري و مسلم: **(الْخَازِنُ الأَمِينُ الَّذِي يُنْفِقُ ، وَرُبَّمَا قَالَ الَّذِي يُعْطِي - مَا أُمِرَ بِهِ كَامِلاً مُوَفَّرًا طَيِّبٌ نَفْسُهُ إِلَى الَّذِي أُمِرَ بِهِ أَحَدُ الْمُتَصَدِّقَيْنِ)**[٢] (روي بالتثنية والجمع)} ، فإن القائمين على المستودعات و المبرات والجمعيات الخيرية و الإغاثية خازنون وهم متصدقون كما نص عليه الحديث، وينبغي أن يتعاونوا مع إخوانهم فيما يحفظهم أحياء وميتين، بجمع الثياب المستعملة وغيرها من كل ما يحتاجه الفقراء و المساكين ويكون سبباً

١- رواه الترمذي (٣٩٠٨) .

٢ - البخاري ١٤٣٨

لإدخال السرور عليهم، والعمل على إيصالها للمعنيين ويقول ﷺ: **(الْعَامِلُ عَلَى الصَّدَقَة بالْحَقّ كَالْغَازى فى سَبيلِ اللَّه حَتَّى يَرْجعَ إلَى بَيْته)**[1].

إنه جهادَ مَقدس شرعَ منَ أجلَ سدَ حاجة المَسكَين وتفَريج كربة المضطر وعلى الغازي في سبيل الله الصدق والأمانة حتى يعود من "الميدان" غانماً.

١ – رواه ابن خزيمة ٢٣٣٤

الوقفة الرابعة: وللإمام دوره

يُجمع رواد المساجد على ظاهرة تتكرر بين الحين والآخر، وقد تختلف مواقفهم فيَ طريقة علاجها، وإن اتفقوا على ضرورة زوالها واختفائها إنها ظاهرة تحتاج إلى دراسة وتحليل وتعاون وتنسيق بين الموسر والإمام، هذه الظاهرة تزعج المصلين وتذل السائلين ومع تكرارها ينعدم اكتراث كثير بها ، لأنها أصبحت شيئاً مألوفاً يصعب علاجه، ودوام المساس يزيل الإحساس كما يقال، ويكون الحل عند الكثير لهذه الظاهرة في التغاضي وعدم المبالاة بناء على أن صاحب الظاهرة قد يكون ممثلاً ومفتعلاً للواقع الذي يصوره أمام المصلين، ويكون الإمام في حرج لأنه إما أن يسكت عنه باعتبار السائل يحتمي بقوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ ﴾[1] وإما أن يحافظ على عدم أذية المصلين بالتشويش عليهم أثناء قراءة ورد الصلاة، إن اقتضت الحاجه أن يطلب منه السكوت دون أن ينهره، وأعتقد أنه ينبغي أن يكون للإمام موقف إيجابي يحفظ لهذا المسلم كرامته، ولا شك أن الآراء قد تختلف حول هذه النماذج من الناس ولكن الافراد يتفقون –بدافع الوازع الديني– على أهمية الحفاظ على كرامة المسكين، وينبغي للإمام في سبيل علاج هذه الظاهرة أن يبني جسوراً مع المحسنين من جماعة المسجد أو بعض الجمعيات الخيرية أو بعض الموسرين الأخيار بطريقة

١ – الضحى: ١٠

مقننة بناءة مفيدة، وإذا كان بلد الإمام يمنع هذه الظاهرة (التسول) بناء على ما يترتب عليها من الأضرار حسب الظاهر، فإن الإمام عليه أن يعمل ضمن قانون بلده ساعياً في نفس الوقت بكل وسيلة تحفظ ماء وجه هذه الفئة، وإذا صدقت النية فلن يغلق باب إلا وفتحت أبواب كثيرة، فينبغي أن يطلب من الأخيار التعاون معه في تفريج كربات بعض هذه النماذج الصادقة فيما تدعيه ومن خلال الحديث مع أصحاب هذه الظاهرة سيكتشف الإمام كثيراً من الأسرار عن أصحابها، والتي لولا الحديث معهم لما عرف الصادق من الكاذب، قد يكتشف من خلال حواره مع هؤلاء أن بعضهم ليسوا معسرين، وإنما هم من الفئة التي أخبر عنها الرسول ﷺ بقوله: **(من سأَلَ النَّاس أَموالَهم تكَثُّرا فإنَّمَا يَسأَلُ جَمْرا فَلْيستَقلَّ أَوْ ليَسْتَكْثرْ)**[1]. أو من الفئة التي قال عنها النبي ﷺ: **(لَيْس الْمسكين الذي يَطُوفُ عَلَى النَّاس تَرُدُّه اللُّقْمَةُ واللُّقْمتَان والتَّمرَةُ والتَّمرتَان ولَكن الْمسكينُ الذي لا يَجدُ غنًى يغْنيه ، ولا يُفْطَن به فَيُتصدَّقُ علَيْه ، ولا يَقُوم فَيسأَلُ النَّاس)**[2] ومَن خَلال النَقاش مع هؤلاء قَد يتبين للمحاورَ من له الحق في المسألة ومن ليس له حق فيها، وقد يترك السائل الذي لاحق له في المسألة هذه الظاهرة عند ما ينكشف أمره وهذا أمر مهم، لأن تركه للسؤال يحفظ له كرامته وهذا ما يريده الإسلام، أيها الإمام من خلال

١ - رواه مسلم ١٧٢٦

٢ - البخاري ١٤٧٩

قوله ﷺ: **(لَا يؤمن أحدكُم حتَّى يحبَّ لأخيه ما يحبُّ لنَفْسه)**[1] فإنكم -وأنتم أدرى بذلك- لا تحبون أن تكونوا في هذه الوضعية، فينبغي أن تحبوا له وتسعوا جادين ليكون هذا المسكين على وضعية كلنا يحبها لنفسه ولأخيه المؤمن، وهذا لا يكون إلا بالتقرب منه، والاستفسار عن حاله وتوجيهه التوجيه السليم، وإشعاره بأنه ما دام مسلماً فإن الإسلام يريد له الكرامة والرفعة، مبيناً له أن الفقر مرض عَرَضيّ لا علاقة له بالأخلاق التي ترفع الإنسان أو تضعه، قد ترى العالم التقي السَخي الورع ويكون فقيراً وقد ترى العكس كما يقول الشاعر محمد بن حنبل الشنقيطى:

إن تــر العــالم نضْــوا مرمّــلا ... صــفْر كــفٍّ لم يســاعده ســببْ
وتـرى الجاهـل قَـد حـاز اَلغـنى ... محَــرز المــأمول مــن كــل أرب
قـد تجـوع الأسـد في آجامهـا ... والـذئاب الغـبس تعتـام القتـب[2]

وينبغي أن تذكره أيها الإمام بأن صيانة النفس عن كل ما يشينها هدف إسلامي ومبدأ إيماني، وأن ضيق الرزق لا ينبغي أن يكون سببا للخدش من الكرامة أو وسيلة للنيل من الشهامة كما يقول الإمام علي رضي الله عنه وينسب للشافعي:

صن النفس واحملها على ما يزينها ... تعـش سـالما والقـول فيـك جميـل
ولا تــرين النــاس إلا تجمــلاً ... نبـا بـك دهـر أو جفـاك خلـيل

١ – البخاري (١٣) ومسلم (١٧٩) .
٢ – الوسيط ٣١٧

وإن ضاق رزق اليوم فاصبر إلى غد عسى نكبات الدهر عنك تزول[١]

إن النقاش مع هذه الفئه والحديث معها بدافع الحرص على مصلحتها، وحفظ كرامتها، وتذكيرها بمحاسن الإسلام النبيلة، ومبادئه وقيمه الأصيلة قد يغير قناعة بعضها..

أيها الإمام حفظكم الله، إن الإمامة تدل على الصدارة والتقدم فأنت إمام للمصلين وأنت أمامهم فينبغي أن تكون إماماً لهم في كل فضيلة ومعروف وكهفاً لهم في كل ضائقة ومخوف، إن تجاهل واقع هذه الفئة لا تقبله الفطر السليمة فإذا كان الواحد منها لسبب أو لآخر ضعفت عنده المناعة، وتلوثت لديه الفطرة قليلاً، فإنه بإنسانيته وإيمانه وشهامته يستفيد من التوجيه الصادق الذي يحمل معه العلاج لما يعانيه، (والمؤمن مرآة أخيه)[٢].

وإنما الخطورة في تركه على الحالة التي لا يحبها كل منا لنفسه، ولا يحبها هو لنفسه في الأحوال العادية الطبيعية.

وهذه الوقفة هي وجهة نظر تحاول إيجاد بعض الحلول لمأساة هذه الفئة من خلال سعي الإمام ليكون جسراً ممدوداً بينها وبين الموسرين، فإن كنت قد وفقت فالحمد لله، وإن كانت الأخرى فإنها وجهة نظر لا أتعصب لها، بل أحترم كل رأي بناء مفيد .

---

١ – جواهر الأدب ٤٢٤.

٢ – البخاري ٢٣٩، أبو داود ٤٢٤٢، البزار ٦١٩٣.

قصة مؤثرة

سمعت قصة عجيبة عند الشيخ عطية محمد سالم -رحمه الله- سمعته في الحرم النبوي يفسر قوله تعالى: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾ [1] ثم ذكر هذه القصة استطراداً وخلاصتها: أن رجلا قتل آخر نسأل الله السلامة والعافية فطالب ولي المقتول بالقصاص، فبذل ولي القاتل كل الجهود من أجل القبول بدية ولو مغلظة، وبعد رفض مستمر وافق في النهاية على دفع الدية لكنه اشترط عليه أن يجمعها له بالسؤال ولا يقبل من العاقلة أن تدفع شيئاً منها، فبدأ ولي القاتل يجمع الدية ولم يجمعها حسب قول الشيخ حتى تحول السؤال مهنة له فقال ولي المقتول أردت أن أقتله بذل المسألة. هذه القصة تصور خطورة الاستمرار على هذه الظاهرة والأضرار المترتبة على ذلك.

إن الحديث مع هذه الفئه والاستماع لها وهي تعبر عن آلامها ومآسيها يؤدي إلى كثير من الفوائد، من هذه الفوائد أنك ستعرف الصادق كما أسلفت فيكون الواجب عليك أن تعمل كلما تستطيعه لتخفف عنه المعاناة، وستعرف من تعود على هذه الطريقة وقد تقنعه بالعدول عنها، أما أن نترك هذا الإنسان يذل نفسه وهو يدري أو لا يدري فإنه أمر لا ينبغي، ولا ينبغي كذلك أن نصدر الأحكام العمومية على هذه الفئة كأن نقول إنهم أغنياء أو متحايلون

(١) آل عمران: ١٣٤

وما أشبه ذلك، بل ينبغي أن يكون الحكم صادراً عن خلفية الاحتكاك بهم ليكون التصنيف صائباً، والحكم عادلاً، فالحكم على كل سائل بأنه متحايل أو أنه غني فيه مجازفة، يقول القرطبي- رحمه الله- عند قوله تعالى: ﴿تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾[1] يقول: "المسألة التاسعة السائل إذا كان محتاجا فلا بأس أن يكرر المسألة ثلاثا إعذاراً وإنذاراً، والأفضل تركه، فإن كان المسئول يعلم بذلك وهو قادر على ما سأله وجب عليه الإعطاء، وإن كان جاهلاً به فيعطيه مخافة أن يكون صادقاً في سؤاله فلا يفلح في رده"[2].

(١) البقرة: ٢٧٣.

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٣-٤) ص ٣٤٧

الوقفة الخامسة: هل تبحث عن ضمانات؟

بعد أن تم الحديث عن مفهوم الحض والكلام على حفاظ الإسلام على كرامة المسكين وحسنات المنفق معا والكلام على أن المنفق هو المستفيد والحديث أيضا عن دور الإمام في التكافل الاجتماعي يأتي الحديث في الوقفة الأخيرة عن أهمية الضمانات التي ينبغي أن يحصل عليها الموسر المنفق، وسأحاول في هذه الوقفة أن أسجل بعض المقترحات.

أحبتي الأكارم: لا شك أن الأغنياء والموسرين يريدون -ولهم الحق في ذلك- تحقيق أمرين:

الأول: التأكد من حاجة من يدفعون له الصدقة.

الثاني: التأكد من وصول ما يدفع إلى صاحب الحاجة.

والحقيقة أنه يمكن التأكد من حاجة المستهدف بوسائل متعددة كإخبار الثقات بذلك ويمكن أيضا التأكد من وصول ما يدفع لمستحقه بوسائل كثيرة منها إقراره وتوقيعه على أنه استلم ما دفع له ومنها فتح حساب مصرفي له ومنها التأكد عن طريق الاتصال به على هاتفه.

المهم أن يعمل الوسيط الذي يشكل جسراً آمناً بين الموسر والمعسر كلما في وسعه على إيجاد ضمانات تطمئن صاحب الصدقة وتريح الوسيط وينتفع ذو الحاجة.

وينبغي أن نكرر ما أشرنا إليه في الوقفة الأولى (العبادة المهجورة) منبهين أن يكون الحض شاملاً لكل ما يحتاجه الفقراء والمحتاجون والضعفاء والمساكين بشكل عام وهناك نماذج من الإكرام وألوان من المساعدات تأتي في وقتها المناسب تفوق أضعافها في أوقات أخرى وانتهاز الفرصة لحل الأزمات المادية لهؤلاء المحتاجين أمر مطلوب وفرصة نادرة يبحث عنها أصحاب الهمم العالية خذ مثالاً على ذلك: قد لا يعلم الموسر أن الأسرة الفلانية تجلس أيام حر الصيف في بيت لا تكييف فيه فمهمة الوسيط الذي يقوم بعملية الحض أن يخبر الموسر بوضع هذه العائلة وعلى الموسر أن ينتهز الفرصة لإزالة كربتها وعلاج محنتها، وتفريجه لهذه الكربة قد يفوق في الأجر ما لو دفع لها مبلغاً مالياً كبيراً في وقت لا تكون حاجتهم مثل السابق وهذا مثال من عشرات الأمثلة.

ولاشك أن بعض المحسنين الموفقين قد قاموا بأعمال فريدة في مجال التكافل الاجتماعي بمفهومه الشامل فبعضهم اهتم بإطعام الأيتام وسد حاجتهم وبعضهم اهتم بالأرامل وبعض عنِي بالمرضى وعلاجهم... إلخ

والخلاصة:

أن الاهتمام بهذه المجالات المختلفة يشكر لهؤلاء الأخيار الذين يسعون لحفظ كرامة المسكين والهيئات الإغاثيةَ لها السبق المحمود في عصرنا والشمول النسبي ، فنرجو الله سبحانه وتعالى أن يبارك في جهود الجميع .

وفي ختام الحديث ألا ترى أنه من اللازم أن تتسع دائرة الحض لتشمل الأئمة والقضاة والوجهاء والدعاة وغير هؤلاء من أصحاب التأثير في المجتمع ليتعاون الجميع على بناء جسور ورسم آليات للتواصل بين الغني والفقير، كلٌّ يعمل في إطاره ويجتهد في مجاله، فهناك فئة يمكن أن تحض هذه النماذج السابقة ليقوموا هم بحض الموسرين على الإنفاق ،كما أن هناك طائفة يمكن أن تتولى بنفسها الحض المباشر !

المهم أن نَشيع ظاهرة الحض حتى نعمل سوياً على تخفيف ما يعاني منه الفقراء والمساكين وحتى نسلم من الوعيد الشديد الذي يطال من لا يحض على طعام المسكين.

وأكتفي بهذا القدر خوف الإطالة المملة، وأسأل الله القبول، وحسن الخاتمة.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبه الفقير إلى عفو ربه

المصطفى السالك بن الطالب الشنقيطي

التاريخ ١٤٣٦/٣/١٩هـ المدينة المنورة

بالمملكة العربية السعودية

للتواصل

٠٠٩٦٦٥٥٣٧٧١٧٦٦

m0503159642@gmail.com

صدر للمؤلف

١-جوانب من عظمة نبي الرحمة ﷺ، من وحي سيرته ومسيرته

٢-دروس الطلاب والمعلمين شرح الأجرومية في النحو.

٣-مدينة النحو وسكانها.

٤-هل تريد صناعة عمر طويل.

٥-التنصل والاعتراف يوم القيامة (تحت الطبع)

الفهرس

الموضوع	الصفحة
ميلاد الفكرة.....	٣
الوقفة الأولى (العبادة المهجورة).....	١١
الوقفة الثانية (كرامة المسكين وحسنات المنفق)	٢١
الضمانة الأولى.....	٢٤
الضمانية الثانية.....	٢٧
الضمانة الثالثة.....	٢٨
معاملة الإنسان حسب الظاهر والقانون العمري	٣٥
الوقفة الثالثه (من المستفيد؟).....	٤٣
الوقفة الرابعه (وللإمام دوره).....	٥١
قصة مؤثرة.....	٥٥
الوقفة الخامسة (هل تبحث عن ضمانات)..	٥٧